بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



الحمدُ للهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسُولِ الله، وعلى آلهِ وصَحْبِه ومَنْ والاه؛ **أمَّا بعدُ:**

فإنَّ العبدَ دائِمُ التَّقلُّبِ بينَ أحوالٍ ثَلاث، لا يَنْفَكُّ عَنْها:

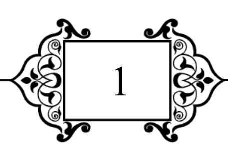
الأَوَّلُ: نِعَمٌ مِنَ اللهِ تعالى تَتَعاقَبُ عَلَيْه، وهذهِ قَيْدُها الشُّكْرُ للهِ حَتَّى تَدُومَ وتَزِيدَ، وشُكْرُها يَكُونُ بالاعْتِرافِ بِهَا باطنًا، وبالتَّحَدُّثِ بِهَا ظاهرًا، وتَصْرِيفها فيما يُرْضِي الله.

الثاني: مِحَنٌ يَبْتَلِي اللهُ بِهَا عِبادَه، وهذهِ فَرْضُها الصَّبْرُ، وذلكَ بِحَبْسِ النَّفْسِ عَنِ التَّسَخُّطِ، واللِّسانِ عن التَّشَكِّي، والجوارِحِ عن الْمَعْصِيَةِ؛ كاللَّطْمِ ونَحْوِه.

الثالثُ: ذُنُوبٌ مِنَ العَبْدِ، وهذه دَواؤُها الاسْتِغْفار.

وإنَّ العِبادَ في هذهِ الأَحْوالِ على دَرَجات، وفي هذهِ الأَطْوارِ عَلَى طَبَقات -ولاسِيَّما في الْمِحَنِ والابتلاء-، فإنَّ الرَّجُلَ يُبْتَلَى على حَسبِ دِينِه، وكُلَّما كان إيمَانُه قَويًّا اشْتَدَّ بَلاؤُه.

وإذا كان كذلك؛ فإنَّ السائِرَ في طَرِيقِ الجهادِ في سَبيلِ الله مِنْ أَشَدِّ الناسِ ابْتلاءً؛ خُصُوصًا في هذا الوَقْتِ الذي تَكالَبَتْ عَلَيْهِ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ والإجابَةِ على السَّواء -إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبِّي- تُريدُ الفَتْكَ به، والنَّيْلَ مِنْه.



وفي ضَوْءِ هذهِ الابْتِلاءاتِ والكُرَبِ التي هي آتِيَةٌ لا مَحالَة، طالَ الزَّمانُ أَمْ قَصُرَ، سُنَّةُ اللهِ في عِبادِه ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ [العنكبوت: 2]؛ كان لا بُدَّ مِنْ زادٍ يُعِينُ المجاهِدَ على تَحَمُّلِها، ومُؤازِرٍ يَأْخُذُ بيدِه لِيَتَجاوَزَها إلى بَرِّ الأَمان؛ مَعَ الحفاظِ على ثَوابِ الصَّبْرِ عَلَيْها.

وما أَكْثَرَ ما يُعينُ على ذلكَ في شَرْعِنا ودينِنا، وسَأَقْتَصِرُ على ذِكْرِ كَلِماتٍ كان يَقُولُهُنَّ النبيُّ ﷺ إذا أصابَهُ كَرْبٌ، أو حَزَبَهُ أَمْرٌ؛ فعن ابن عباس ﵄: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَقُولُ عند الكَرْبِ: «**لا إلهَ إلا اللهُ العَظيمُ الْحَليمُ، لا إلهَ إلا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظيم، لا إلهَ إلا اللهُ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ ورَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَريم**»[1].

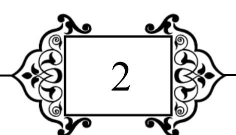
إنَّ المتأمِّلَ لهذه الكَلِماتِ الجامِعاتِ لَيُدْرِكُ أنَّ الجامِعَ لها، والْمُؤَلِّفَ بَيْنَها، إنَّما هو: تَوْحِيدُ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى، فَتَوْحِيدُ الألوهِيَّة في قَوْلِه: (لا إله إلا اللهُ)، والرُّبوبِيَّةُ في (رَبُّ العَرْشِ العَظيم)، والأَسْماءُ والصِّفاتُ في (العَظيمُ الْحَليمُ).

هذا التَّوحيدُ الذي هو مَفْزَعُ أَعْداءِ اللهِ قَبْلَ أوليائِه لِتَفْرِيجِ كُرُباتِ الدُّنيا وشَدائِدِها، قال تعالى في حَقِّ الكُفار: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت: 65]، أَمَّا أَولياؤُه فإنَّهُم يَفْزَعُونَ إليهِ بتَوْحيدِهم لِيُفَرِّجَ عَنْهُم كُرُباتِ الدُّنيا، وشَدائِدِ الآخِرَة.

وهذا الحديثُ أَتَى بِلَفْظِ الخَبَرِ وهو مُتَضَمِّنٌ للطَّلَب؛ أيْ: أَنَّ العَبْدَ إذا وَقَعَ في كَرْبٍ فإنَّه مَطْلُوبٌ منه أنْ يَقُولَ: لا إله إلا اللهُ... الحديث.

وَوَصْفُه سُبْحانَه بـ (العَظيم) يَقْتَضِي كَمالَ قُوَّتِه وقُدْرَتِه على تَفْرِيجِ الكُرُبات، وَرَفْعِ الابتلاءاتِ، وَوَصْفُه سُبْحانَه بـ (الْحَليم) يَقْتَضِي كَمالَ رَحْمَتِه وإحْسانِه وتَجاوُزِه عن عِبادِه، فَجَمْعُهُ بين هذينِ الاسْمَيْنِ في هذا الْمَقامِ مِنْ أَعْظَمِ ما يُعِينُ العَبْدَ على دَفْعِ كَرْبِه، وزَوالِ هَمِّه.

(1) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (8/ 75) برقم: 6346، ومسلم (4/ 2092) برقم: 2730.



قال ابنُ القَيِّم رحمه الله: "**فَعِلْمُ القَلْبِ ومَعْرِفَتُه** بذلكَ تُوجِبُ مَحَبَّتَهُ وإجْلالَهُ وتَوْحِيدَه، فَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ الابْتِهاجِ واللَّذَّةِ والسُّرُورِ ما يَدْفَعُ عنه أَلَمَ الكَرْبِ والْهَمِّ والغَمِّ"(2).

نَسْأَلُ اللهَ بأسْمائِهِ الْحُسْنَى وصِفاتِهِ العُلا، أَنْ يُفَرِّجَ هَمَّنا، ويُنَفِّسَ كَرْبَنا، وأَنْ يَرْزُقَنا الصَّبْرَ على مُنَغِّصاتِ الدُّنْيا وَمَصائِبِها، وأَنْ يُعَجِّلَ بِنَصْرِ أَوْليائِه، وهَزِيمَةِ أَعْدائِه، إِنَّه نِعْمَ الْمَوْلَى ونِعْمَ النَّصِير.

* * *

1439 هـ | 2018 م



(2) زاد المعاد (4/ 185).

